التوجيه النحوي في شرح الأربعين النووية للشيخ محمد صالح العثيمين

Grammar Guidance In The Explanation Of The Forty-Nawawi

By Mohammed Salih Al-Uthaymeen

م. د. شفاء سعيد جاسم محمد

Dr.Shafaasaeedjassim Mohammed

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الوقوف على التوجيهات النحوية التي وردت في شرح الأحاديث النبوية في كتاب الأربعين النووية للشيخ محمد صالح العثيمين ، وبيان علاقتها بالقاعدة النحوية. والكشف عن موقف النحاة وشارح الحديث تجاهها، وبيان دوره في توجيهها نحويًّا.

والوقوف على أسس التوجيه النحوي وقواعده عنده؛ ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لما يتطلبه من المناقشة والتحليل والتعليق، بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية بتجرد وموضوعية.

وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث أن يتألف من مبحثين مسبوقين بمقدمة وتمهيد، ومردفين بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع. بيَّن التمهيد مفهوم التوجيه النحوي ثم التعريف بشارح الأربعيين النووية في حين خصص المبحث الأول: لبيان التوجيه النحوي للجملة الاسمية والفعلية، فيما تناول المبحث الثاني: التوجيه النحوي للحروف والآدوات.

ومن أهم النتائج التي أسفر عنها البحث: أن لصاحب الشرح توجيهات نحوية متميزة انفرد بها وفق فهمه المعاصر للأحاديث ، وأخرى اتفق فيها مع شراح الأحاديث الذين سبقوه والتوجيه النحوي السائغ.

Abstracts:

This research seeks to identify the grammatical directives that work in explaining the prophetic hadiths in MOhammedSalih Al-Uthaymeen's book Al-Arbaeen Al-Nawawi, and to explain their relationship to the grammatical rule. And revealing the position of the grammarians and the explanation of the hadith towards it, and explaining its role in directing it grammatically.

and standing on the foundations of grammatical guidance and its rules; In order to achieve this image of the only goal, obtaining the scientific result of the single image. Tourism center and preface, supplemented by a conclusion and index.

Between the definition of the concept of grammatical guidance and then the definition of the explanation of the forties of al-Nawawi, while the first topic was devoted to clarifying the grammatical guidance of the nominal and verbal sentences with regard to guidance: the grammatical guidance of letters and machines.

. Among the most important results that resulted from the research: The author of the explanation has distinct grammatical directions that he singled out according to his contemporary understanding of the hadiths, and others in which he agreed with the commentators of the hadiths who preceded him and the grammatical guidance palatable.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فيعد الحديث النبويّ ثاني نصّ مقدّسٍ بعدَ كلام الله -عزّ وجل- ، فلا غرو فقد أُوتي جوامع الكلم، وهو أفصحُ العرب، وأبلغهمْ كلامًا وأقوَاهُمْ حُجّة ، وأعلاهم شأنًا وأنقاهم سليقة ، وأصفَاهمْ سريرة ، وأحسنهُم بديهة ، فكلامُه كلام نبوّة وقولُه قولُ حُجّةٍ ، متّسقٌ بناؤه منسجمُة دلالته ، منتظمة حروفه، وقد شغل الشراح في دقة بيانه، وسبل بنيانه ، وطريقة تركيبه فأخذوا يوجهونه توجيهات نحوية بحسب ما تتحمله قواعد النحو وما يقتضيه السياق وهم في ذلك بين متبع لقواعد النحو وبين مجتهد في التوجيه . والاشتغال بهذه الجهة من الحديث كانت مرمى القدماء والمحدثين على حد سواء من النحويين والشراح لا سيّما شرح الأحاديث النوية التي جمعها الإمام النووي المعروفة بإسم **(الأربعين النووية)** التي تقاطر على شرح أحاديثها غير عالم من العلماء على مدار الزمان، واتساع المكان ، وربما آخرهم وليس أخيرهم الأصولي المحدث الشيخ محمد بن صالح العثيمين الذي اتسم شرحه بالاهتمام بمسائل النحو وتوجيه بعض المسائل فيه ، فله توجيهات نحويه متميزة وهو في سبيل شرحه للأحاديث النبوية في مصنف النووي الذي وقع في نفسه موقعا عظيما إذ يراه عملا جليلا ، وزادًا علميا يفوق ما قدمه النووي في سائر مصنفاته إذ يقول عنه: « وقد ألف الإمام النووي مؤلفات كثيرة من أحسنها هذا الكتاب **(الأربعون النووية)** وهي ليست أربعين بل هي اثنان وأربعون ، ولكن العرب يحذفون الكسر في الأعداد ،فيقولون : أربعون و إن زاد واحدًا أو اثنين أو نقص واحدًا أو اثنين... وهذه الأربعون ينبغي لطالب العلم أن يحفظها ، لأنها منتخبة من أحاديث عديدة ، ومن أبواب متفرقة بخلاف غيرها من المؤلفات»[1] هذه الأسباب مجتمعة دعتنا أن نجمع ما جاء في شرح ابن عثيمين من توجيهات نحوية تحت عنوان واحد هو:**((التوجيه النحوي في شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين))** .

وقد سعينا فيه إلى الوقوف على التوجيهات النحوية التي وردت في شرح الأحاديث النبوية في كتاب الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، وبيان علاقتها بالقاعدة النحوية، والكشف عن موقف النحاة وشارح الحديث تجاهها، وبيان دوره في توجيهها نحويًّا، والوقوف على أسس التوجيه النحوي وقواعده

(١) شرح الأربعين النووية – طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – دار الثريا للنشر – رفعه : عبد الرحمن النجدي- ط٣- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ :٨ .

عنده؛ ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لما يتطلبه من المناقشة والتحليل والتعليق، بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية بتجرد وموضوعية.

وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث أن يتألف من مبحثين مسبوقين بمقدمة وتمهيد، ومردفين بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.اعتنى التمهيد بمفهوم التوجيه النحوي ثم التعريف بشارح الأربعيين النووية ، في حين خصص المبحث الأول: لبيان التوجيه النحوي للجملة الاسمية والفعلية ومكوناتهما، فيما تناول المبحث الثاني: التوجيه النحوي للحروف والأدوات. وتبين أن لصاحب الشرح توجيهات نحوية متميزة انفرد بها وفق فهمه المعاصر للأحاديث ، وأخرى اتفق فيها مع شراح الأحاديث الذين سبقوه والتوجيه النحوي السائغ .

التمهيد

مفهوم التوجيه النحوي

جاء في العين « الوجه مستقبل كل شيء ، والجهة النحو ، يقال: أخذت جهة كذا أي: نحوه»[١]، وورد في تهذيب اللغة: «وجهت الريح الحصا توجيهًا ، إذا ساقته ... ويقال: قاد فلان فلانًا فواجه ، أي: أنقاد وأتبع»[٢]، وورد في لسان العرب: «الوجه: معروف ، والجمع الوجوهُ ... ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به.»[٣] ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤] .

أما التوجيه في الاصطلاح فهو: «إيراد الكلام محتملًا الوجهين المختلفين أو إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم»[٥] ، وهذا يشبه تعريف السكاكي (ت٦٢٦هـ) فهو عنده يعني: «هو إيراد كلامٍ محتملٍ لوجهين مختلفين»[٦] ، وعرفه بعضهم بأنه: «ذكر الحالات والمواضع الإعرابية وبيان أوجه كل منها وما يؤثر فيهما ، وما يلزم ذلك من تقرير أو تفسير أو تعليل أو استدلال أو احتجاج ، سواء صيغ ذلك في قواعد تضبطه، وتنظر له، أم لم يصغ»[٧] .

---

(١) كتاب العين – لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠هـ- ١٧٥هـ)- تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال-(د.ط)(د-ت)، ٨٨/١.

(٢) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م ،١٠٧/٢.

(٣) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)- الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ-، ١٢٧/١١.

(٤) سورة النحل: الآية ٧٦ .

(٥) التعريفات- الشريف الجرجاني – تحقيق : عبد الرحمن المرعشلي- دار النفائس بيروت ط١- ٢٠٠٣- ص ١٣٣ .

(٦) التوجيه النحوي والصرفي للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي في كتابه (الحجة للقراء السبعة) ، سحر سعد سليم راضي ، ط، دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٨ ، ط١ / ص٢٩ .

(٧) قواعد التوجيه في النحو العربي –عبد الله أنور سيد أحمد الخولي - الناشر: موسسة دار التعاون للطبع والنشر-١٩٩٧- ص ١٢ .

والتوجيه عند النحاة هو «بيان أن رواية البيت أو القراءة القرآنية لها وجه في العربية وموافقة لضوابط النحو، فيقولون:- مثلا- توجيه الرواية أو البيت أو القراءة كذا وكذا»[١]، والتوجيه النحوي «يهتم بمواقع الكلمات وتغير وظيفتها داخل تراكيبها، وقدم الجمع من النحاة لدراسة النحو واللغة،حتى أن من بينهم القارئ والفقيه الذين اعتنوا بهذه الدراسات ليلائموا بين ماسمعوا ورووا من القراءات وكلام العرب»[٢] فروي عن حماد بن سلمة (ت١٦٧هـ) أنه قال: «من طلب الحديث ولم يتعلم النحو، أو قال: العربية، فهو مثل الحمار، تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير.»[٣]فعلاقة الحديث النبوي بالنحو عظيمة جدًا وهذا أمر ليس بالعجيب ؛ لأن النبي ﷺ أفصح العرب قولًا، وأصدقهم حديثًا، وأبينهم كلامًا، وأعلاهم بلاغة، وأحسن الجاحظ أذ وصف حديث النبي ﷺ فيقال: «هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال: الله تبارك وتعالى، قل يا محمد: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[٤] فكيف وقد عاب التشدق، وجانب أهل التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسيط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأثير، ويسر بالتوفيق.»[٥]، ولا غرو فلم تثمر بلاغة مثلما أثمرت بلاغة السماء في القرآن الكريم، ثم بلاغة الأرض في كلامه ﷺ، ولم يأت عن أحد من روائع الكلم قبل جاء عنه ﷺ[٦]، وبعد فلا سبل إلى اكتشاف ما في الحديث من كنوز ودور إلا بمعرفة علم النحو فمن طلب فهم الحديث من غير هذا السبيل أعياه قال: أبو اسحاق الشاطبي «إن هذه الشريعة المباركة عربية فمن أراد تفهمها فمن جهة لسان العرب يفهم ولا سبيل إلى تطلب فهمها من غير هذه الجهة.»[٧]، وقال: المبارك بن الأثير مجد الدين أبو السعادات (ت٦٠٦هـ) «معرفة اللغة والإعراب هما أصل لمعرفة الحديث وغيره لورود

---

(١) التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في كتاب درة الغواص للحريري (٤١٦هـ- ٥١٦هـ)- فضيلة عبوسي محسن العامري- جامعة الكوفة – كلية الفقه – ٢٠١٠- ص٨.

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد-الناشر مكتبة الآداب – القاهرة -٢٠٠٠ص٣٢.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله –عز وجل-، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت٣٢٨) تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١ه – ١٩٧١م، ص٦١.

(٤) سورة ص: الآية ٨٦.

(٥) البيان والتبين : عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون - الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة هـ : ٢/ ١٧-١٨.

(٦) ينظر : الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، مطبعة أضواء السلف، الرياض، ط٢/ ١٤٤٧هـ-١٩٩٧م، ص ٢٢.

(٧) صبح الأعشى، لأبي العباس أحمد القلقشندي ،دار الكتب المصرية بالقاهرة – ١٩٢٢، ١٦٩/١.

الشريعة المطهرة بلسان العرب...»[١]؛ ولأن معرفة الحديث النّبويّ الشّريف أيضا تنقسم- عند أهل الشَّأن- إلى معرفة ذات، وصفات؛ فالذّات هي معرفة وزن الكلمة وبنائها، وتأليف حروفها وضبطها، وأمّا الصّفات فهي معرفة حركات الكلام وإعرابه؛ لئلا يختلّ فاعل بمفعول، أو خبر بأمر، أو غير ذلك من المعاني الّتي يُبنَى فهم الحديث النّبويّ عليها. فمَن لَحَنَ في كلام النّبيّﷺ ولم يُتْقنه، وأحدث التباسًا، وأُفهم منه غير المقصود؛ فإنّه يُخشَى عليه أنْ يدخل في قوله عليه الصّلاة والسّلام: (مَن كَذَبَ عليَّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده مِن النّار)[٢].

- **حياة الشارح:**
- **اسمه:**

«الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين الوهيبي التميمي،عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وأستاذ بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وإمام وخطيب الجامع الكبير بمدينة عنيزة .

وهو متزوج من امرأة واحدة، وله من الأولاد الذكور : عبدالله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبدالرحيم .

- **مولده :**

ولد في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧ هـ . وعليه : فيكون الشيخ قد عمِّر (٧٤) عامًا[٣].

- **علمه:**

حفظ الشيخ رحمه الله كتاب الله في سن مبكرة، وقبل أن يتجاوز الخامسة عشر من عمره كان يحفظ – بالإضافة إلى كتاب الله – «زاد المستقنع» و «ألفيَّة ابن مالك» – كما أخبر بذلك هو عن نفسه.

وقد جدَّ الشيخ ونشط في طلب العلم على قلة ذات اليد في ذلك الزمان، وقد حدَّث عن نفسه فقال: إنه كان لا يملك إلا «الروض المربع» . للشيخ رحمه الله شروح كثيرة لكتب عديدة – سواء من تأليفه أو من

---

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - الناشر : مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان - الطبعة : الأولى، ٣٧/١ .

(٢) المسند الصحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي ٢/ ٩٧.

(٣) نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى- صيد الفوائد - http://www.ibnothaimeen.com/summary.html .

تأليف غيره – ومن فضل الله عليَّ أنني قد سمعت مادة علميَّة منها كثيرة – وقمت بشرح كلما سمعته من الشيخ تقريبًا- .

ومن هذه الدروس والشروح ما يتكرر أكثر من مرة، منها :

١. شرح الأصول من علم الأصول .
٢. شرح زاد المستقنع .
٣. شرح أبواب من صحيح البخاري .
٤. شرح أبواب من صحيح مسلم .
٥. شرح ألفية ابن مالك .
٦. شرح الآجرومية .
٧. شرح العقيدة السفارينية .
٨. شرح كتاب التوحيد .
٩. شرح الواسطية .
١٠. شرح التدمرية .
١١. شرح الحموية .
١٢. شرح البيقونية .
١٣. شرح نخبة الفِكَر .
١٤. شرح الأجزاء الأخيرة من القرآن .
١٥. شرح بعض السور، مثل البقرة، وآل عمران، والنساء، والأحزاب، وسبأ .. وغيرها بطريقة التفصيل واستنباط الفوائد والأحكام .
١٦. شرح بلوغ المرام روض المربع يقرأ فيه، في غرفة من طين تطل على زريبة بقر[1] .

- **وفاته:**

رزئت الأمة الإسلامية جميعها قبل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ بإعلان وفاة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية وأحس بوقع المصيبة كلبيت في كل مدينة وقرية وصار الناس يتبادلون التعازي في المساجد والأسواق والمجمعات وكل فرد

(١) ينظر: وقفات في حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: إحسان العتيبي- مكتبة الكتب المكتبة الالكترونية – ٢٠٠١ ، ص ٢٧ .

يحس وكأن المصيبة مصيبته وحده وجاءت البرقيات وقدمت الوفود- بفقيد البلاد وفقيد المسلمين جميعًا وأخذ البعض يتأمل ويتساءل عن سر هذه العظمة والمكانة الكبيرة والمحبة العظيمة التي امتلكها ذلك الشيخ الجليل في قلوب الناس رجالًا ونساء صغارًا وكبارًا ؟ امتلأت أعمدة الصحف والمجلات في الداخل والخارج شعرًا ونثرًا تعبر عن الأسى والحزن على فراق ذلك العالم الجليل فقيد البلاد والأمة الإسلامية – رحمه الله تعالى – وصلى على الشيخ في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ الآلاف المؤلفة وشيعته إلى المقبرة في مشاهد عظيمة لا تكاد توصف ثم صلى عليه من الغد بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب في جميع مدن المملكة وفي خارج المملكة جموع أخرى لا يحصيها إلا باريها، ودفن بمكة المكرمة رحمه الله.[1]

❁ ❁ ❁

(١) ينظر: وقفات في حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: إحسان العتيبي- مكتبة الكتب المكتبة الالكترونية – ٢٠٠١ ، ص٤٧ .

المبحث الأول

التوجيه النحوي للجملية الاسمية والفعلية

أولًا: الجملة الاسمية:

الجملة الاسمية هي ما تقدم فيها العنصر الاسمي، ويتألف تركيبها الأساسي من عنصرين هما: المبتدأ والخبر، أو المسند إليه والمسند.

والمبتدأ في اللغة هو: اسم مفعول من ابتدأ الشيءَ وابتدأ به، بمعنى بدأَه وبدأ به ابتداءً وبدْءًا»[١]. وقد حد النحويون المبتدأ بقولهم أنه: «اسم أو بمنزلته، مجرد عن العوامل اللفظية أو بمنزلته، مخبر عنه، أو وصف رافع لمكتفىً به. فالإسم، نحو: «الله ربنا» و «محمد نبينا» والذي بمنزلته، نحو: «وأن تصوموا خير لكم» «سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم» «تسمعُ بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه»[٢].

أمّا الخبر فإن النحاة القدماء نظروا إليه على أنه قسيم المبتدأ, و الذي يتم به مع المبتدأ فائدة ، وسماه سيبويه (ت ١٨٠ هـ), المسند باعتبار أن المبتدأ مسند إليه، إذ استعمل كلمة (الخبر) في كتابه بمعناها الاصطلاحي إلى جانب (المسند) و(المبني على المبتدأ)[٣] ، وعبّر ابن السرّاج عن الخبر أيضًا بالمبني على المبتدأ، قبل أن ينفرد لفظ (الخبر) بعنوان المعنى الاصطلاحي. فقدم ما عثر عليه من تعريفات (للخبر)، ما ذكره ابن السرّاج (ت ٣١٦ هـ) بقوله: «والاسم الذي هو خبر المبتدأ هو الذي يستفيده السامع، ويصير المبتدأ به كلامًا»[٤].

ويبدو أن الحديث عن الجملة الاسمية عند النحاة وردَّ في خضم ذكرهم للمبتدأ والخبر الذين يشكلان ركني الإسناد فيها، فابن يعيش في شرح المفصل رأى أن الجملة الاسمية ما كان الأول فيها: «اسماً ... نحو زيدٌ أبوه منطلق ، فزيد مبتدأ أول وأبوه مبتدأ ثاني ، ومنطلق خبر للمبتدأ الثاني ، المبتدأ الثاني وضميره في

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادّة (بدأ) ١/ ٣٦.

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - باب المبتدأ والخبر - المكتبة الشاملة الحديثة- ص١٨٦

(٣) كتاب سيبويه(ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - ط٣ – ١٩٨٨م –١- ٢٢ و ٢-١٢٦.

(٤) الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السراج (ت ٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٩٩، ١-٥٥.

موضع رفع لوقوعه موقع خبر المبتدأ الأول.»[١] ، فالجملة الاسمية في عرف النحاة القدماء ما كانت الصدارة الأصلية فيها للاسم، ولم يبتعد المحدثون عن هذا الحد على الرغم من محاولاتهم للتجديد، فالدكتور مهدي المخزومي يعرفها بأنها: «تلك الجملة التي يدل المسند فيها على الدوام والثبوت ، أو يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافًا ثابتًا غير متجدد ، وبعبارة أوضح هي التي يكونفيها المسند اسمًا»[٢].

وقد وردت الجملة الاسمية في الحديث النبوي كثيرا استجابة لأغراض عدة ووجهها الشراح توجيهات متباينة فقد ورد أن النبي ﷺ : ((قال : الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمةالمسلمين وعامتهم))[٣] ، فبنى الشارح علة مجيء المبتدأ والخبر معرفتين بقوله: «الدين مبتدأ ، والنصيحة خبره وكل من المبتدأ والخبر معرفة ، وعلماء البلاغة يقولون: إذا كان المبتدأ معرفة والخبر معرفة كان ذلك من طريق الحصر . فقوله: ((الدين النصيحة)) مثل قوله: ما الدين إلا النصيحة، فإذا كان طرفا الجملة معرفتين كان ذلك من باب الحصر»[٤].

فالشارح ابن عثيمين يعزو كون المبتدأ والخبر معرفة إلى دلالة بلاغية تتعلق بالحصر وقد ذهب أهل البلاغة في ذلك مذاهب شتى في توجيههم لهذه التراكيب فعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز يقول: «مما يدل دلالة واضحة على اختلاف المعنى ، إذا جئت بمعرفتين ثم جعلت هذا مبتدأ وهذا خبرًا تارةً وتارة العكس، وقولهم: الحبيب أنت وأنت الحبيب ، وذاك أن معنى (الحبيب أنت) أنه لا فضل بينك وبين من تحبه إذا صدقت المحبة ، وأن مثل المتحابين مثل نفسٌ يقتسمها شخصان ، كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال: الحبيب أنت إلا أنه غيرك... ولا يخفى بعد ما بين الغرضين . فالمعنى في قولك: (أنت الحبيب) أنك الذي اختصته بالمحبة بين الناس ، و إذا كان كذلك عرفت أن الفرق واجب أبدًا ، وأنه لا يجوز أن يكون (أخوك زيد) و (زيد أخوك) بمعنى واحد»[٥] .

أمَّا ابن السراج (ت٣١٦هـ) فيرى جواز أن يأتي المبتدأ والخبر معرفة نحو: (زيد أخوك) إذا كنت وزيد أخوة النسب بشرط «أن يكون المخاطب يعرف زيدًا على حده ولا يعلم أنه أخوه ؛ لقرينة كانت بينهما أو لسبب

(١) شرح المفصل ،موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ ه) ، إدارة الطباعة المنيرية – مصر، ٢٣٠/١.
(٢) في النحو العربي (نقد و توجيه) تأليف : د. مهدي المخزومي الناشر: دار الرائد العربي ـ بيروت الطبعة: الثانية - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص٤٢ .
(٣) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين: ١٣٥ .
(٤) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين:١٣٦ .
(٥) دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانكي ، القاهرة ، مصر ١٩٨٤، ١٣٤ .

آخر ، أو يعلم أن له أخًا ولا يدري أنه زيد فتقول له: زيد أخوك؟ أي: أزيد هذا الذي عرفته هو أخوك الذي كنت علمته ، فتكون الفائدة في اجتماعهما ، وذلك الذي استفاده المخاطب ، فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة كانت الفائدة في مجموعهما»[١] .

فيما نقل ابن يعيش أنه لا فرق في تقديم الخبر على المبتدأ أو العكس في حال تطابقا في التعريف إذ يقول: « وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معًا كقولك: زيد المنطلق ، أو الله إلهنا ، أو محمد نبينا ... وأيهما قدمت فهو المبتدأ .»[٢] فأيهما تقدم هو المبتدأ ، وهذا مذهب بعض النحاة كالفارسي، وخالفهم في ذلك أكثر النحاة الذين تعرضوا للقيمة الدلالية وتغاير المعنى التي تنشأ في التركيب نتيجة لاختلاف الترتيب[٣] ، وهذا الذي مال إليه الشارح ابن عثيمين الذي وجد أن مسوغات بلاغية تقف وراء مجيء الجملة الاسمية في الحديث بشقيها المبتدأ والخبر (الدين النصيحة) معرفة، وعدَّ هذا خروجا عن الأصل، فالأصل الذي يجب أن يكون عليه الكلام هو تعريف المبتدأ وتنكير الخبر إلا إذا حضرت علة بلاغية صرفت الكلام عن هذا الأصل تحقق ذلك في حديث النبي ﷺ (الدين النصيحة) .

ووجه الشارح قوله ﷺ ((بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البِيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[٤] توجيهات عدة منها على أن لفظ (شهادة) عطف بيان[٥] وأجيز فيها الرفع على أنها مبتدأ لخبر محذوف تقديره: منها شهادة ، أو على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره ، هي أو أحدهما شهادة وأجاز بعضهم النصب بإضمار أعني[٦].

وقيل: أنها «بدل من خمس ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ؛ لأن البدل تابع للمتبوع وهو بدل اشتمال؛ لأنه مما يشتمل عليه المبدل منه وهو مضاف»[٧].

---

(١) الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السراج ، ١/ ٦٥-٦٦ .

(٢) شرح المفصل ، ابن علي بن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة – مصر ، ١ / ١٣٢ .

(٣) ينظر : المبتدأ والخبر بين النظرية والتطبيق ، نجود جميل المساعفة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٧، ص ١٩ .

(٤) شرح الأربعين النووية- ابن عثيمين ص ٩٥ .

(٥) شرح التفتازاني على الأربعين النووية ، سعد الدين بن مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٢ هـ) ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل – دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م ، ص ٧٨ .

(٦) ينظر:المعين على تفهم الأربعين :أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) تحقيق: دغش بن شبيب العجمي – مكتبة أهل الاثر للنشر والتوزيع – ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م- ١٣٤ .

(٧) إعراب الأربعين حديثًا النووية ، د. حسن عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط١ / ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م ، ص ٤٧ .

وقال: الشارح ابن عثيمين يجوز فيها – أي شهادة - وجهان في الإعراب:

الأول: الضم (شهادةُ) بناء على أنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هي .

والثاني: الكسرة (شهادةِ) على أنها بدل من قوله: خمس، وهذا البدل بدل بعض من كل[١] .

وقد انفرد الشارح ابن عثيمين في توجيهه الثاني بجعل (شهادة) بدل بعض من كل ، وهو اختيار له مسوغاته بوصف (شهادة) بعض من كل على تقدير أن شهادة وما عطف عليها هي بعض ما بُني عليه الإسلام ، فإذا قيل: أن شهادة بدل كل من الكل استلزم ذلك أن الأركان التي بني عليها الإسلام هي كل ما أوجبه الإسلام ولا شيء غيرها. لذا فإن الشارح عيَّن نوع البدل بقوله: «بدل بعض من كل فهذه الأركان هي الدعائم الأصلية في الإسلام والركائز المتينة التي يستند عليها بيد أن هناك أشياء غيرها والذي ذكر بعضها خص بالذكر والتقديم لأهميته ؛ ولأن ما بعدها لا يستقيم إلا بها ، وهذه الأركان الخمسة ليست جميع الإسلام»[٢] .

قيل: في قول النبي ﷺ : ((أن لا إله إلا الله)) «لا نافية للجنس ، إله: اسم لا النافية للجنس .. وخبر (لا) محذوف وتقديره (موجود) ، إلا: حرف حصر أو استثناء ، الله –لفظ الجلالة- بدل من خبر مرفوع ، فهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على اعتبار (إلا) للحصر ويجوز مستثنى بـ(إلا) منصوبًا بالفتحة الظاهرة إذا اعتبرنا (إلا) أداة استثناء ، وجملة (أن لا إله إلا الله) مصدر مؤول في محل جر مضاف إليه ، وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله، فالأصل: وشهادة المرء أن لا إله إلا الله»[٣].

ولا يبتعد الشيخ ابن عثيمين عن مثل هذا التوجيه ، بيد أنه يوجه خبر (لا) المحذوف والمقدر توجيهًا يتناسب مع فهمه للحديث ودلالته في فهم معنى الألوهية ، ومعنى العبادة، إذ يقول: في شرحه لهذا الحديث «لا إله إلا الله: جملة اسمية منفية بـ(لا) التي لنفي الجنس ، ونفي الجنس أعم النفي ، واسمها (إله) وخبرها: محذوف والتقدير حق ، وقوله: (إلا) أداة حصر ، والاسم الكريم –لفظ الجلالة- بدل من خبر (لا) المحذوف وليس خبرها لأن: (لا) النافية للجنس لا تعمل إلا في النكرات»[٤].

فهو يرى أن خبر (لا) المحذوف تقديره ، (حق) وليس (موجود) أي: (لا إله حق إلا الله –عز وجل- ، وهناك آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة ، وليس لها من حق الألوهية شيء ، ويدل ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ

(١) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين: ٤٧ .

(٢) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين: ١٠١.

(٣) إعراب الأربعين حديثًا النووية : ٤٧ .

(٤) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين: ٢٧ .

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[1][2] ، فالصواب عنده ، والتوجيه المنضبط أن يكون التقدير لا إله حق أو لا معبود حق إلا الله ، بدون الباء ، أي: لا يقال: بحق؛ لأن التقدير: (حق) مجردة «أصح وأقوم لغة ؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير ... أما قولنا: (بحق) فيحتاج إلى تقدير آخر ؛ لأن الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره : لا معبود كائن بحق»[3]. فلا يمكن أن يحمل الخبر المحذوف على تقدير (موجود) مثلما ذهب إليه أكثر النحويين وشراح الحديث[4].

وقد جاء في ذم الاختلاف وكثرة الأسئلة من غير مسوغ قوله: ﷺ «(مَانَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)»[5] ففي هذا الحديث توجيهات نحوية كثيرة لا سيّما في لفظتي الحديث(اختلافهم وكثرة) وتبعًا لهذه التوجيهات تتباين الدلالات والمعاني ، فقال: العيني (ت ٨٥٥ هـ) «ويجوز في (اختلافهم) الرفع والجر»[6] ، قال: التفتازاني « أي: صار سبب هلاكهم وواجب العقوبة في الدنيا والآخرة (الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم ، بالرفع (على مسائلهم) ؛ لأنها قد تصير ذريعة للضلال وللتكاليف الشاقة كما في قصة بني إسرائيل ، ووسيلة للعقوبات الشديدة ، كما قص الله تعالى علينا من نجاة أتباع الرسل وهلاك الأمم المكذبة لها بالخسف والغرق في اليم».[7] ، فالرفع على العطف على (كثرة) والمعطوف على المرفوع ، وبالعطف على (مسائلهم) وهي مجرورة والمعطوف على المجرور مجرور ، فإذا كان العطف (على الكثرة) أي: أن اختلافهم مرفوعة ، فإن المعنى سيكون: أهلكهم كثرة مسائلهم وأهلكهم اختلافهم.[8]

وإذا كان المعطوف على (مسائلهم) أي: إن (اختلافهم) مجرورة فإن المعنى سيكون: أهلكهم كثرة مسائلهم وكثرة اختلافهم .

وهذان التوجيهان يؤديان معنين مختلفين فالتوجيه الأول ، يجعل سبب الهلاك هو الاختلاف على الأنبياء ، بينما التوجيه الثاني فيجعل سبب الهلاك هي (الكثرة) وليس محض الاختلاف .

---

(١) سورة الحج: الآية ٦٢ .

(٢) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين : ٢٧ .

(٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط١ / ١٤٣٧، ص ٦ .

(٤) ينظر: شرح الأربعين النووية –ابن عثيمين ص ٦٧.

(٥) شرح الأربعين النووية –ابن عثيمين-١٥٥.

(٦) ينظر : المعين على تفهم الأربعين: ١٣٧ .

(٧) شرح الأربعين النووية ، سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٧١هـ) ، المطبعة الدولية ، تونس ، ط١ / ١٢٩٥: ٨٩.

(٨) ينظر : المعين على تفهم الأربعين: ١٣٧ .

وأعرب بعضهم (واختلافهم): «الواو حرف عطف للمفرد ، اختلاف: معطوف على كثرة المرفوع، مرفوع بالضمة ... والمعنى كثرة مسائلهم واختلافهم ، ولو عطف اختلاف على مسائل ، لكان المعنى كثرة مسائلهم وكثرة اختلافهم ، ويكون الهلاك مقترنًا بكثرة الاختلاف ، أما في العطف الذي به الرواية، فإن الفعل (أهلك) يتعلق بمنطلق الاختلاف لا بكثرته»[١].

والشارح ابن عثيمين يقرُّ بالتوجيهين الرفع والجر ، غير أنه يرى أن كل توجيه يؤدي معنى محدد إذ يقول: «... وكلا الأمرين صحيح ، ولكن الإعراب الأول يقتضي أن مجرد الاختلاف سبب للهلاك ، وأما الاحتمال الثاني فإنه يقتضي أن سبب الهلاك هو كثرة الاختلاف .»[٢]

ثانياً : الجملة الفعلية:

الجملة الفعلية هي الجملة التي صدرها فعل ، وقد تحدَّث سيبويه عن الفعل فقال: «وأمَّا الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ولما يكون ولما سيكون ، ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع. فأمَّا بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد ، وأمَّا بناء ما لم يقع فإنه قولك: أمرًا: إذهبْ واقتل واضربْ ، ومخبرًا: يذهب ويضرب ويقتل ويُضرب وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت»[٣] . ولا اعتبار لأي الأفعال أسبق المهم في ذلك أن تكون الجملة فعلية على الرغم من أن النحاة القدماء –رحمهم الله– حاولوا ترجيح الأسبقية ومنهم الزجاجي في قوله: «اعلم أن أسبق الأفعال في التقديم المستقبل ؛ لأن الشيء لم يكن ثم كان ، والعدم سابق الوجود ، فهو في التقدم منتظر، ثم يصير في الحال ثم ماضياً ، فيخبر عنه بالمضي ، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ثم فعل الحال ، ثم الماضي»[٤].

على الرغم من هذا التحليل المنطقي في أسبقية تقديم فعل على آخر إلا أن الزجاجي في كتابه الجمل في النحو اعتد بالتقسيم التقليدي للأفعال: (الماضي –المضارع – الأمر) فقال: «الأفعال ثلاثة: فعل ماضٍ وفعل مستقبل وفعل في الحال يسمى الدائم»[٥].

---

(١) إعراب الأربعين حديثًا النووية: ٨٨ .

(٢) شرح الأربعين ، ابن عثيمين : ١٥٧ .

(٣) كتاب سيبويه - (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام هارون- الناشر: الخانجي- الطبعة: ٣ ، ١ / ١٢.

(٤) الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، تحقيق: مازن مبارك ، مكتبة دار العروبة – القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٨٥.

(٥) الجمل في النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، حققه وقدم له: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة –بيروت- الطبعة الأولى / ١٩٨٤ ، ص٧-٨.

ولا يخرج ابن عثيمين في توجيهه وإعرابه للجملة الفعلية في صدر الحديث: ((بني الإسلام على خمس: شهادة ...)) عمَّا قيل: في إعرابها في كون (بني) «فعل ماضٍ مبني لما لم يسم فاعله ، والإسلامُ: نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره»[١] ، غير أن الشارح يعلل سبب مجيء الفعل مبينًا للمجهول وعدم تسمية الفاعل بقوله: «الذي بناه هو الله –عز وجل- ، وأبهم الفاعل للعلم به ، كما أبهم الفاعل في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[٢] ، فلم يبين من الخالق ، لكنه معلوم ، فما علم شرعًا أو قدرًا جاز أن يبنى فعله لما لم يسم فاعله»[٣].

ومثل هذا الحديث توجيهه للجملة الفعلية في حديث النبي ﷺ: ((أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى))[٤]، فيقول النبي ﷺ «(أمرتُ) بالبناء لما لم يسم فاعله ؛ لأن الفاعل معلوم وهو الله –عز وجل- وإبهام المعلوم سائغ لغة واستعمالًا سواء في الأمور الكونية ، أو في الأمور الشرعية ، ففي الأمور الكونية: قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾[٥] ، والخالق هو الله –عز وجل- ، وفي الأمور الشرعية: لهذا الحديث: ((أمرت أن أقاتل)) وكقوله ﷺ: ((أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم)))»[٦] .

❁ ❁ ❁

(١) إعراب الأربعين حديثًا النووية:ص ٤٧ .

(٢) سورة النساء: الآية ٢٨ .

(٣) شرح الأربعين النووية ، ابن عثيمين:ص ٩٥ .

(٤) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١- ١٣٧٤هـ، ص ٩٩.

(٥) سورة النساء: الآية ٢٨ .

(٦) شرح الأربعين النووية : ١٤٧ .

المبحث الثاني

التوجيه النحوي في الحروف

للحروف والأدوات توجيهات عده في الحديث النبوي كشفت عن أساليب بلاغية في غاية الدقة والبيان منها (حتى) في قوله: ﷺ «(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ وَيُقِيْمُوْا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهَمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى)»[١].

قال الكرماني (ت٧٨٦هـ) وابن الملقن (ت٨٠٤هـ) وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، والعيني (ت٨٥٥هـ) [٢]: «إنها للغاية ، فقد تكون غاية للقتال وقد تكون غاية للأمر به ، وقيل: يجوز أن تكون للتعليل. فإن كانت بمعنى (إلى أن) كانت الغاية من المقاتلة أن يشهدوا ويقيموا ويؤتوا ، فإن فعلوا هذا عصموا دماءهم، وإن جحدوا باقي الأحكام ، ولذا جاء في نهاية الحديث ما نصه: (إلا بحق الإسلام) ليزيل هذا الاشتباه ويدخل فيه جميع أحكام الإسلام[٣] .

وإن كانت للتعليل كان المعنى: أمرت أن أقاتل الناس ليشهدوا ، أي: إن قتالي لهم لأجل أن يشهدوا فإن فعلوا دخلوا في حكم المسلمين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من واجبات وحدود وغيرها.

ويستدل بهذا الحديث أن من أخل بواحد مما بعد (حتى) كتركه «الصلاة عمداً معتقدًا وجوبها يقتل»[٤].

ولم يخرج الشارح ابن عثيمين عما قيل من توجيهات في (حتى) غير أنه يرى أنها للغاية أظهر، فيقول: متسائلاً عن قول: النبي ﷺ ((حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)) (حتى) هل هي للتعليل بمعنى أن أقاتل

---

(١) شرح الأربعين النووية :ص ١٤٦.

(٢) ينظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ، شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت: ٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان- ط٢ / ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ١٢٢/١. ينظر: المعين على تفهم الأربعين:ص ١٢١. ينظر : فتح الباري شرح الجامع الصحيح للبخاري ، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢) ، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد ، طبع على نفقة: الأمير سلطان عبد العزيز آل سعود ، ط/ ١، ٢٠٠١/ ٩٦ ، ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو محمد محمود العيني (ت:٨٥٥) ، طبع وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٣) ينظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني: ١ / ٩٦ .

(٤) ينظر : عمدة القاري: ١ / ٢٨٩ .

ليشهدوا ؟ أو هي للغاية بمعنى أقاتلهم إلى أن يشهدوا؟

والجواب: هي تحتمل أن تكون للتعليل، ولكن الثاني أظهر ، يعني: أقاتلهم إلى أن يشهدوا.[1] ثم يضرب أمثلة من القرآن الكريم ليؤكد ما ذهب إليه من توجيه فيقول: و(حتى) تأتي للتعليل وتأتي للغاية فقوله تعالى:﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾[2]، فهذه للغاية ولا تصلح للتعليل ، لأن بقاءهم عاكفين على العجل لا يستلزم حضور موسى عليه السلام .

وقوله –عز وجل- عن المنافقين:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ﴾[3] ، فحتى هنا للتعليل ، يعني: لا تنفضوا لأجل أن ينفضوا عن رسول الله ، وليس المعنى لا تنفضوا حتى ينفضوا، فإذا انفضوا أنفقوا .

وقوله: (حتى يشهدوا) أي: حتى يشهدوا بألسنتهم وبقلوبهم ، لكن من شهد بلسانه عُصم دمه وماله وقلبه إلى الله –عز وجل- .[4]

ويوجه الشارح ابن عثيمين حرف الجر الباء الوارد في حديث النبي ﷺ((لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله ..)) توجيهات عدة ليجيب عن التعارض الظاهر لمن يسأل كيف يجمع بين معنى هذا الحديث والأحاديث الدالة على أن الإنسان يدخل الجنة بعمله؟

فيقول الشارح: أجاب العلماء .. فقالوا: الباء لها معنيان: تارةً تكون للسببية وتارةً تكون للعوض، فإذا قلت: بعت عليك هذا الكتاب بدرهم ، فهذه للعوض ، وإذا قلت: أكرمتك بإكرامك إيّاي ، فهذه للسببية. فالمنفي هو باء العوض ، والمثبت باء السببية، فقالوا: معنى قول: النبي ﷺ((لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله)) أي: على أن ذلك معاوضة ؛ لأنه لو أراد الله –عز وجل- أن يعاوض العباد بأعمالهم ويجازيهم لكانت نعمة واحدة تقضي على كل ما عمل.

وأضرب مثلًا بنعمة النفس ، هذه نعمة عظيمة لا يعرف قدرها إلا من ابتلي بضيق النفس.. هذه النعمة لو عملت أي عمل من الأعمال لا تقابلها .[5]

وتوجيه الشارح لهذا الحديث قريب من توجيه شارح العقيدة الطحاوية القاضي ابن أبي العز (٧٩٢هـ) لهذا الحديث الذي قال: مما ورد من دخول الباء على لفظ (بعمله) فإن الباء التي في النفي غير الباء

---

(١) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين : ١٤٨ .

(٢) سورة طه: الآية٩١ .

(٣) سورة المنافقون: الآية٧ .

(٤) شرح الأربعين النووية: ١٤٨ .

(٥) المصدر نفسه: ٣٢٤ .

التي في الإثبات ، فالمنفي في قوله: ﷺ((لـن يدخل الجنة أحدٌ بعمله)) باء العوض ، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل الجنة ، وكما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله !! بل ذلك برحمة الله وفضله ، والباء في قوله تعاالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] ونحوها باء السبب أي: بسبب عملكم ، والله تعالى هو خالق الأسباب ، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته .[2]

والباء في قول: النبي ﷺ في توجيه الشارح ابن عثيمين ما الذي نفاه النبي ﷺ في الحديث باء العوض أو المقابلة ، كما يقال: اشتريت هذا بهذا أي: ليس العمل عوضًا أو ثمنًا كافيًا لدخول الجنة ، بل لا بد من عفو الله .[3]

❁ ❁ ❁

(١) سورة السجدة: الآية ١٧ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، القاضي علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ) ، تحقيق: بشير محمد عوين ، مكتبة المؤيد ، مكتبة دار البيان –بيروت – ط٢ / ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ص١٣٤.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر : دار الوطن - دار الثريا الطبعة: ٨ ، ص٧٠ .

الخاتمة

* صلة الحديث النبوي بالنحو عظيمة جدًا وهذا أمر ليس بالعجيب؛ لأن النبيﷺ أفصح العرب قولًا، وأصدقهم حديثًا، وأبينهم كلامًا، وأعلاهم بلاغة.

* كثر ورود الجملة الاسمية التي خبرها معرفة في الحديث النبوي؛ استجابة لاغراض عدة ووجهها شراح الحديث توجيهات متباينة فمثلا في حديث النبي ﷺ ((الدين النصيحة)) يبني الشارح علة مجيء المبتدأ والخبر معرفتين بقوله: «الدين مبتدأ، والنصيحة خبره وكل من المبتدأ والخبر معرفة، وعلماء البلاغة يقولون: إذا كان المبتدأ معرفة والخبر معرفة كان ذلك من طريق الحصر.

* انفرد الشارح ابن عثيمين في توجيهه لبعض الأحاديث النبوية كتوجيهه بجعل لفظ في الحديث النبوي ((بني الاسلام على خمس: شهادة...)) بدل بعض من كل، وهو اختيار له مسوغاته بوصف (شهادة) بعض من كل على تقدير أن شهادة وما عطف عليها هي بعض مابُني عليها الإسلام، فإذا قيل: أن شهادة بدل كل من الكل استلزم ذلك أن الأركان التي بني عليها الإسلام هي كلما أوجبها الإسلام ولا شيء غيرها.

* ومن التوجيهات التي تشهد بتفرد الشارح وتميزه توجيهه للفظتي (كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ) لحديث النبي ﷺ (مَانَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُم كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ) فالشارح ابن عثيمين يقرُّ بالتوجيهين الرفع والجر، غير أنه يرى أن كل توجيه يؤدي معنى محدد إذ يقول: «... وكلا الأمر ينصحيح، ولكن الإعراب الأول يقتضي أن مجرد الاختلاف سبب للهلاك، وأمَّا الاحتمال الثاني فإنه يقتضي أن سبب الهلاك هو كثرة الاختلاف.»

* يعلل سبب مجيء الفعل مبينًا للمجهول في قوله: ﷺ((بني الإسلام)) وعدم تسمية الفاعل بقوله: الذي بناه هوالله –عزوجل- ،وأبهم الفاعل للعلم به، كما أبهم الفاعل في قوله تعالى: (يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُم وَخُلِقَ الإنسَانُ ضَعِيفًا) ، فلم يبين من الخالق، لكنه معلوم، فماعلم شرعًا أو قدرًا جاز أن يبنى فعله لما لم يسم فاعله.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السراج (ت ٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين، مؤسسةالرسالة، بيروت، لبنان،١٩٩٩ .
- إعراب الأربعين حديثًا النووية، د. حسن عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١ / ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله -عزوجل- ، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت٣٢٨هـ) تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، تحقيق: مازن مبارك، مكتبة دار العروبة – القاهرة، ١٩٥٩.
- البيان والتبين: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون - الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.
- التعريفات- الشريف الجرجاني – تحقيق : عبد الرحمن المرعشلي- دار النفائس بيروت ط١- ٢٠٠٣ .
- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب- الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد- الناشر مكتبة الآداب – القاهرة -٢٠٠٠.
- التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في كتاب درة الغواص للحريري (٤١٦هـ- ٥١٦هـ)- فضيلة عبوسي محسن العامري- جامعة الكوفة – كلية الفقه – ٢٠١٠.
- التوجيه النحوي والصرفي للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي في كتابه (الحجة للقراء السبعة، سحر سعد سليم راضي، ط، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٨ ، ط١.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - الناشر : مكتبة الحلواني– مطبعة الملاح– مكتبة دار البيان - الطبعة : الأولى.

❖ الجمل في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، حققه وقدم له: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة –بيروت- الطبعة الأولى / ١٩٨٤ .

❖ الحديث النبوي في النحو العربي، محمود فجال، مطبعة أضواء السلف، الرياض، ط٢/ ١٤٤٧هـ-١٩٩٧م .

❖ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٧١هـ) ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانكي، القاهرة- مصر، ١٩٨٤ .

❖ شرح الأربعين النووية – طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – دار الثريا للنشر – رفعه : عبد الرحمن النجدي- ط٣- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤.

❖ شرح الأربعين النووية، سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٧١هـ) ، المطبعة الدولية، تونس، ط١ / ١٢٩٥.

❖ شرح التفتزاني على الأربعين النووية، سعد الدين بن مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٢هـ) ، تحقيق: محمد حسن إسماعيل – دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م .

❖ شرح العقيدة الطحاوية، القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ) تحقيق: بشير محمد عوين، مكتبة المؤيد، مكتبة دار البيان –بيروت – ط٢ / ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

❖ شرح المفصل، ابن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة- مصر .

❖ شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ)، إدارة الطباعة المنيرية – مصر.

❖ شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، ط١ / ١٤٣٧ .

❖ صبح الأعشى، لأبي العباس أحمد القلقشندي، دار الكتب المصرية بالقاهرة - ١٩٢٢ .

❖ صحيح البخاري بشرح الكرماني، شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان- ط٢ / ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

❖ صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر / ١٤١٩هـ -١٩٨١م.

❖ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط١- ١٣٧٤هـ.

❖ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين أبو محمد محمود العيني (ت٨٥٥هـ) ، طبع وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دارا لكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١/ ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

❖ فتح الباري شرح الجامع الصحيح للبخاري، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، طبع على نفقة: الأمير سلطان عبد العزيز آل سعود، ط/ ٢٠٠١.

❖ في النحو العربي (نقد وتوجيه) تأليف : د. مهدي المخزومي الناشر: دار الرائد العربي ـ بيروت الطبعة: الثانية - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

❖ قواعد التوجيه في النحو العربي – عبدالله أنور سيد أحمد الخولي - الناشر: مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر-١٩٩٧.

❖ كتاب سيبويه – أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام هارون- الناشر: الخانجي- الطبعة: ٣ ،١٩٨٨.

❖ كتاب العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠هـ- ١٧٥هـ)- تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال-(د.ط)(د-ت) .

❖ كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – باب المبتدأ والخبر – المكتبة الشاملة الحديثة.

❖ لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)الناشر: دارصادر - بيروتط١ - ١٤١٤هـ.

❖ المبتدأ والخبر بين النظرية والتطبيق، نجود جميل المساعفة، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧ .

❖ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: محمد بن صالح بن محمدالعثيمين (ت ١٤٢١هـ) جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر : دار الوطن – دار الثريا، الطبعة٣.

❖ المسند الصحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي.

❖ المعين على تفهم الأربعين :أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) تحقيق : دغش بن شبيب العجمي – مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع – ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م .

❖ نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة الشيخ العلاّمَة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى- صيدالفوائد - http://www.ibnothaimeen.com/summary.html .

❖ وقفات في حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: إحسان العتيبي- مكتبة الكتب المكتبة الالكترونية – ٢٠٠١ .